



تجمع الياودة

هي قرية سورية تقع في سهل حوران جنوب محافظة درعا، تبعد عن مدينة درعا مسافة 5 كيلومتراتٍ إلى الغرب، تحدُّها من الجنوب ناحية مركز درعا، وتحدها من الشمال بلدة المزيريب، ومن الشرق بلدة عتمان، ومن الغرب قرية خراب الشحم والأردن.

يبلغ عدد سكَّانها حوالي 16000 نسمة، تعني التسمية معاني عدة منها الودود، الكثير الحب، أو المحبوب.

جذور متأصلة وعلاقات متشابكة

من خلال حوارنا مع عدد من الفلسطينيين والسوريين في قرية الياودة، تبين لنا أن الوجود الفلسطيني في القرية يعود إلى ما قبل نكبة عام 1948، فقد استقرت في القرية عدة عائلات فلسطينية، معظمها يحمل اليوم الجنسية السورية، مثل عائلات الغانم، والغزاوي، والنايلسي، والخطيب.

تعود أصول عائلة الغانم إلى عائلة الشيخ غانم الكبيرة في فلسطين، والتي هاجرت من قرية قاقون في قضاء طولكرم، أما عائلة النايلسي، فتتحدّر من قرية صرّة في نابلس، ومع ذلك، فإن هناك أمراً مثيراً للدهشة يتعلق بهذه العائلات، حيث ظلت بعض الأسر محتفظة بأصولها الفلسطينية، بينما حصلت عائلات أخرى على الجنسية السورية.

يقول محمد النايلسي (50 عاماً)، أحد أبناء فلسطيني الياودة: "أولاد عمي الذين يسكنون على يساري في البلدة ما زالوا فلسطينيين، بينما أصبح أولاد عمي المقيمين على يميني سوريين"، مضيفاً أن نسبة الفلسطينيين من عائلة النايلسي في الياودة قليلة مقارنة بأقاربهم السوريين المنتمين لنفس العائلة.

وتشهد عائلة الغانم حالة مشابهة، حيث تضم خليطاً من السوريين والفلسطينيين، وصلت درجة القرابة بينهم إلى مستوى الأخوة، ومن العائلات الأخرى التي حافظت على أصولها الفلسطينية عائلة أبو ترابي (المكثّاة بالحسين)، وعائلة عقل الشلالدة التي تعود أصولها إلى بلدة سكير في الخليل، بالإضافة إلى عائلة اطيرير، وكتاهما من الفلسطينيين الأردنيين، كما يقيم داخل مخيم النازحين عدد من العوائل الفلسطينية، كعائلة عقله وعائلة عثمان، وهناك عائلة عقاب والقرقطي.

ويبلغ عدد الفلسطينيين في الياودة حوالي 200 فرد، وهو عدد قليل مقارنة بالتجمعات الفلسطينية الأخرى. ويرجع ذلك إلى موجات النزوح الكبيرة التي شهدتها القرية بسبب موقعها القريب من حواجز قوات النظام السوري، ومع تحرير المنطقة وعودة الأمل ببناء سورية حرة، يتطلع الفلسطينيون إلى عودة النازحين والمهجرين، مما قد يعيد الوجود الفلسطيني في القرية إلى سابق عهده.

الموقع والجغرافيا

هي قرية سورية تقع في سهل حوران جنوب محافظة درعا، تبعد عن مدينة درعا مسافة 5 كيلومترات إلى الغرب، تحدّها من الجنوب ناحية مركز درعا، وتحدها من الشمال بلدة المزيريب، ومن الشرق بلدة عتمان، ومن الغربالغرب تجمع تل شهاب وقرية خراب الشحم.

يبلغ عدد سكّانها حوالي 16000 نسمة، تعني التسمية معاني عدة منها الودود، الكثير الحب، أو المحبوب.

جذور متأصلة وعلاقات متشابكة

من خلال حوارنا مع عدد من الفلسطينيين والسوريين في قرية الياودة، تبيّن لنا أن الوجود الفلسطيني في القرية يعود إلى ما قبل نكبة عام 1948، فقد استقرت في القرية عدة عائلات فلسطينية، معظمها يحمل اليوم الجنسية السورية، مثل عائلات الغانم، والغزاوي، والنايلسي، والخطيب.

تعود أصول عائلة الغانم إلى عائلة الشيخ غانم الكبيرة في فلسطين، والتي هاجرت من قرية قاقون في قضاء طولكرم، أما عائلة النايلسي، فتتحدّر من قرية صرّة في نابلس، ومع ذلك، فإن هناك أمراً مثيراً للدهشة يتعلق بهذه العائلات، حيث ظلت بعض الأسر محتفظة بأصولها الفلسطينية، بينما حصلت عائلات أخرى على الجنسية السورية.

يقول محمد النايلسي (50 عاماً)، أحد أبناء فلسطيني الياودة: "أولاد عمي الذين يسكنون على يساري في البلدة ما زالوا فلسطينيين، بينما أصبح أولاد عمي المقيمين على يميني سوريين"، مضيفاً أن نسبة الفلسطينيين من عائلة النايلسي في الياودة قليلة مقارنة بأقاربهم السوريين المنتمين لنفس العائلة.

وتشهد عائلة الغانم حالة مشابهة، حيث تضم خليطاً من السوريين والفلسطينيين، وصلت درجة القرابة بينهم

إلى مستوى الأخوة، ومن العائلات الأخرى التي حافظت على أصولها الفلسطينية عائلة أبو ترابي (المكثاة بالحسين)، وعائلة عقل الشلالدة التي تعود أصولها إلى بلدة سعين في الخليل، بالإضافة إلى عائلة اطير، وكتاهما من الفلسطينيين الأردنيين، كما يقيم داخل مخيم النازحين عدد من العوائل الفلسطينية، كعائلة عقلة وعائلة عثمان، وهناك عائلة عقاب والقرقطي.

الواقع السكاني

يبلغ عدد الفلسطينيين في الياودة حوالي 200 فرد، وهو عدد قليل مقارنة بالتجمعات الفلسطينية الأخرى. ويرجع ذلك إلى موجات النزوح الكبيرة التي شهدتها القرية بسبب موقعها القريب من حواجز قوات النظام السوري، ومع تحرير المنطقة وعودة الأمل ببناء سورية حرة، يتطلع الفلسطينيون إلى عودة النازحين والمهجرين، مما قد يعيد الوجود الفلسطيني في القرية إلى سابق عهده.

تحديات

معاناة فلسطيني الياودة

خلال حوارنا مع خالد الغانم (45 عاماً)، أحد أبناء فلسطيني الياودة، أكد أن القرية تعاني من شح المياه، خاصة خلال فصل الصيف. وأوضح أن السكان يلجؤون إلى الصهاريج كبديل عن شبكة المياه، والتي تصل تكلفتها إلى 220 ألف ليرة سورية لكل صهريج، يتم تعبئة هذه الصهاريج من قرية نهج المجاورة، رغم وجود محطة ضخ مياه في الياودة، إلا أن الواقع المائي للقرية ما يزال متردياً.

كما أن الكهرباء تُعدّ أحد أبرز التحديات التي تواجه السكان منذ بداية الثورة السورية عام 2011. ولا يزال أهالي القرية يعتمدون على الأساليب التقليدية للإضاءة، مثل مصابيح الغاز السائل، أو وحدات الطاقة الشمسية الصغيرة التي تُستخدم لتشغيل الأجهزة الأساسية مثل التلفاز. ومع ذلك، فإن ألواح الطاقة الشمسية تتطلب بطاريات باهظة الثمن، والتي غالباً ما تكون ذات جودة منخفضة ولا تتجاوز عمرها الافتراضي سنة واحدة، مما يضطر السكان إلى استبدالها مرات عديدة، مما يزيد من تكاليف المعيشة.

أما بالنسبة للخبز، فقد اشتكى أحد المواطنين من أن الخبز الذي كان يتم توزيعه عبر المندوب قبل سقوط نظام الأسد كان ذا جودة سيئة ووزن خفيف، أما اليوم، فقد تحسنت جودة الخبز، لكن البطاقة الذكية المخصصة للحصول عليه لا تعترف إلا بالزوج والزوجة من الفلسطينيين، فيما يُحرم الأبناء، مما يزيد من معاناة العائلات الفلسطينية.

التعليم

الواقع التعليمي

لا تحتوي قرية الياودة على أي مدارس تابعة لوكالة "الأونروا"، حيث تقع أقرب مدرسة تابعة للوكالة في بلدة المزيريب، التي تبعد حوالي 4.5 كيلومترات لذلك، يلتحق الطلبة الفلسطينيون بالمدارس السورية في الياودة، والتي تتوفر بكثرة، مما ساهم في ارتفاع نسبة المتعلمين والخريجين بين الفلسطينيين.

على سبيل المثال، تُعتبر عائلة عبد الفتاح الغانم نموذجاً للتفوق العلمي، حيث يحمل جميع أفرادها شهادات جامعية، ومنهم يوسف عبد الفتاح الغانم، الحاصل على دكتوراه في علم النطق من مصر، كما يُعد غسان أحمد الحسين خريج كلية العلوم، وإبراهيم أحمد الحسين خريج أدب إنجليزي، بالإضافة إلى عدد كبير من الخريجات اللواتي يُظهرن مدى الاهتمام الكبير بالتعليم لدى فلسطيني الياودة.

ويُضاف إلى ذلك وجود عدد من المعلمين الذين عملوا في مدارس وكالة "الأونروا"، مثل الأستاذ علاء عقل الشلالدة، الذي درّس الأدب العربي، والأستاذ فيصل عقاب، المعروف بـ "أبو بشير"، الذي شغل منصب مدير في إحدى مدارس الوكالة سابقاً، ويُدير اليوم روضة أطفال في الياودة.

من العائلات والعشائر والقرى التي جاؤوا منها

من العشائر ذات الأصول الفلسطينية:

1- عائلة الخطيب.

2- عائلة الزعبي.

3-عائلة النابلسي.

4- عائلة الغانم.

5- عائلة النابلسي.

معلومات إضافية

حكاية النزوح والحرب ومحمود قرقطي

كانت قرية الياودة من أوائل القرى التي انطلقت منها شرارة الثورة ضد نظام البعث، وقد دفع سكانها ثمنًا باهظاً من دماء أبنائهم ودمار منازلهم ورحلة النزوح القسرية، حاول النظام البائد بكل الوسائل خلق انقسامات داخل المجتمع بين الفلسطينيين والسوريين وأهالي مخيم النازحين، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل، حيث حافظ المجتمع على تماسكه ووحدة نسيجه الاجتماعي.

تعرضت الياودة لقصف عنيف بالبراميل المتفجرة والقذائف المتكررة، وبسبب قربها من مدينة درعا، حيث كانت قوات النظام تتمركز، اضطر العديد من الأهالي إلى النزوح إلى القرى المجاورة. كما أن إغلاق الطريق الوحيد الذي يربط الياودة بدرعا لسنوات طويلة زاد من معاناة السكان، خاصة الطلبة الجامعيين الفلسطينيين، الذين كانوا يضطرون لسلوك طرق بديلة تستغرق ساعات طويلة بدلاً من عشر دقائق فقط.

أما حكاية الشهيد محمود قرقطي، فهي قصة مؤلمة تروي معاناة الشباب تحت حكم النظام، اعتقل محمود لأول مرة في الياودة عام 2011، ثم أُطلق سراحه ليعاد اعتقاله عام 2014 في ضاحية اليرموك بدرعا، وكان سبب اعتقاله هذه المرة بسيطاً: الاحتفال مع أصدقائه بعد انتهاء امتحانات البكالوريا، حيث مرّ بهم أحد عناصر النظام المعروف بـ "أبو جعفر"، فقام باعتقالهم دون سبب سوى الفرح التي كانت تعلو وجوههم.

استشهد محمود، لكن ذكراه بقيت حية في قلوب من عرفوه، يروي أحد المعتقلين الذين كانوا معه قصة طريفة عن محمود، حيث ذهب مرة لاستخراج هويته الشخصية، فرفض الموظف تسجيل لون عينيه بالأزرق،

مدعيًا أن العيون الزرقاء "مخصصة لبشار الأسد فقط"، وتم تسجيل لون عيني محمود بالأخضر بدلاً من ذلك.

وأخيراً نقول: هكذا كانت الحياة في سورية تحت حكم الأسد: نظام يتحكم بأنفاس الناس ويحرمهم من أبسط حقوقهم، حتى الفرحة كانت جريمة، أما اليوم، فقد أصبح بإمكان كل فلسطيني وسوري أن يرفع رأسه عالياً ويقول: "أنا حر"، وأن يحلم بمستقبل أفضل لأطفاله وأحفاده.

الوضع الصحي

الواقع الصحي

يوجد في الیادودة مركز صحي يقدم خدمات محدودة، تتركز في معظم الأحيان على برامج التلقيح، إلا أن هذا المركز، كغيره من المراكز الصحية والمستشفيات في مناطق المحافظة الريفية، يعاني من نقص حاد في المستلزمات الطبية الأساسية.

كما يفتقر المركز إلى سيارة إسعاف، مما يعيق نقل المرضى في الحالات الطارئة ويزيد من خطر الوفاة أو تفاقم المضاعفات الصحية بسبب التأخير في تلقي العلاج.

يعتمد فلسطينيو الیادودة بشكل رئيسي على المركز الصحي التابع لوكالة "الأونروا" في بلدة المزيريب، الذي يبعد حوالي 4.5 كيلومترات. وفي حالات أخرى، يضطر السكان للسفر إلى المدن الكبرى لتلقي الرعاية الصحية، وذلك في ظل ظروف معيشية صعبة، وقد طالب العديد من الفلسطينيين في القرية بتفعيل فرق طبية جواله تابعة لـ "الأونروا"، مثل العيادات المتنقلة، لتقديم خدمات صحية مباشرة في القرية وتقييم الواقع الصحي للسكان.

حكاية النزوح والحرب ومحمود قرقطي

كانت قرية الیادودة من أوائل القرى التي انطلقت منها شرارة الثورة ضد نظام البعث، وقد دفع سكانها ثمناً باهظاً من دماء أبنائهم ودمار منازلهم ورحلة النزوح القسرية، حاول النظام البائد بكل الوسائل خلق انقسامات داخل المجتمع بين الفلسطينيين والسوريين وأهالي مخيم النازحين، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل، حيث حافظ المجتمع على تماسكه ووحدة نسيجه الاجتماعي.

تعرضت الياودة لقصف عنيف بالبراميل المتفجرة والقذائف المتكررة، وبسبب قربها من مدينة درعا، حيث كانت قوات النظام تتمركز، اضطر العديد من الأهالي إلى النزوح إلى القرى المجاورة. كما أن إغلاق الطريق الوحيد الذي يربط الياودة بدرعا لسنوات طويلة زاد من معاناة السكان، خاصة الطلبة الجامعيين الفلسطينيين، الذين كانوا يضطرون لسلوك طرق بديلة تستغرق ساعات طويلة بدلاً من عشر دقائق فقط.

أما حكاية الشهيد محمود قرقطي، فهي قصة مؤلمة تروي معاناة الشباب تحت حكم النظام، اعتقل محمود لأول مرة في الياودة عام 2011، ثم أُطلق سراحه ليعاد اعتقاله عام 2014 في ضاحية اليرموك بدرعا، وكان سبب اعتقاله هذه المرة بسيطاً: الاحتفال مع أصدقائه بعد انتهاء امتحانات البكالوريا، حيث مرّ بهم أحد عناصر النظام المعروف بـ "أبو جعفر"، فقام باعتقالهم دون سبب سوى الفرحة التي كانت تعلو وجوههم.

استشهد محمود، لكن ذكراه بقيت حية في قلوب من عرفوه، يروي أحد المعتقلين الذين كانوا معه قصة طريفة عن محمود، حيث ذهب مرة لاستخراج هويته الشخصية، فرفض الموظف تسجيل لون عينيه بالأزرق، مدعياً أن العيون الزرقاء "مخصصة لـبشار الأسد فقط"، وتم تسجيل لون عيني محمود بالأخضر بدلاً من ذلك.

وأخيراً نقول: هكذا كانت الحياة في سورية تحت حكم الأسد: نظام يتحكم بأنفاس الناس ويحرمهم من أبسط حقوقهم، حتى الفرحة كانت جريمة، أما اليوم، فقد أصبح بإمكان كل فلسطيني وسوري أن يرفع رأسه عالياً ويقول: "أنا حر"، وأن يحلم بمستقبل أفضل لأطفاله وأحفاده.

المصادر والتوثيق

فايز أبو عيد | مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا